هذا زمن الوحدة في العراق

الضمير
العدد 464 الخميس 8 ذو الحجة 1435هـ الموافق لـ 2 أكتوبر 2014

15 دولي

خاص الضمير

هذا زمن الوحدة في العراق

للحرب على داعش آثار تدعم آمالهم في التخلص من العدو الرئيسي الذي أطلق داعش من بين وحوش كثيرة أخرى، في وجههم لإجبارهم على الخنوع والاستسلام. ويبدو لكاتب هذه السطور أن الخوف من التورط الواسع في المشرق من جهة، والسعي إلى تضييق الأهداف إلى أبعد حد، كتجحيم داعش، لتجنب إثارة رفض الرأي العام الأميركي الانخراط، واختيار هدف للحرب، قادر على الحشد والتعبئة في دول الغرب والولايات المتحدة خصوصاً، ويمس، كما ذكر قادة التحالف بذلك، الأمن القومي الأميركي والغربي والدولي عموماً، ذلك كله فرض على أصحاب مشروع التحالف حصر أنفسهم وتفكيرهم ووسائل عملهم ضمن إطار حرب الإرهاب الضيق، في وقت لا يمكن، اليوم، الفصل بأي شكل بين الإرهاب والصراعات السياسية والجيوسياسية التي تهز المنطقة. فلا يمكن فهم الإرهاب الخارجي من دون ربطه بسياسات الطغم الحاكمة وإرهاب الدولة، ولا تصور وجود داعش والنصرة، وغيرهما، من دون وجود حزب الله وميليشيات أبو الفضل العباس وعصائب أهل الحق وعشرات مثلها، تم تدريبها وتسليحها وتمويلها من النظام الإيراني. ولا تصور نهاية لعبث هذه الميليشيات بمصير الشعوب، من دون حل الأزمة الإقليمية المرتبطة باستخدام طهران زعزعة الاستقرار في دول المنطقة، للضغط على الولايات المتحدة والغرب في المفاوضات حول الملف النووي. ومن ورائه على الدور المحوري الذي تريد للغرب أن يعترف لها به في الشرق الأوسط، كذلك الذي كان يُعترف فيه من قبل لنظام الشاه البائد. لا يمكن الخروج من هذا الفخ الذي يترصد التحالف الدولي من دون الانكباب، بشكل جوهري وحاسم، على ملف الأزمة السورية، ليس في ما يتعلق بكيفية العمل على ترحيل النظام القائم فحسب، وإنما في إعداد السوريين، أيضاً، لمرحلة ما بعد الأسد، وتمهيد الأرض لقيام إدارة سورية متسقة ومنسجمة، ولو كان ذلك بمساعدة الأمم المتحدة ودعمها في مرحلة أولى.

ويستدعي هذا، منذ الآن، فرض حظر شامل على طيران الأسد، من جهة لوقف القصف الأعمى، وبالتالي، الإجرامي، للمدنيين، ومن جهة ثانية، لإنقاذ مهمة التحالف المحدودة نفسها، وتجنب فقدانه الصدقية عند السوريين. كما يستدعي إشراك السوريين، أو ممثليهم، في الكتائب المقاتلة والمعارضة والمجتمع المدني في كل ما يتعلق بقرارات التحالف السياسية وخياراته العسكرية، حتى لا يبقى تحالفاً للقوى الأجنبية، يحتكر وحده حق تقرير مصير سورية والسوريين.

ليس هناك، في نظري، أكثر تقويضاً لصدقية التحالف والتدخل الذي يقوم به من رؤية طيران التحالف، وهو يضرب أهدافه الخاصة على بعد كيلومترات من طيران النظام الذي ينهال ببراميله على رؤوس السوريين المدنيين، كما لو كان هناك توزيع مسبق للعمل بين الطرفين اللذين من المفترض أن يكونا متخاصمين. ولا أدري كيف يقبل التحالف مثل هذا الوضع، وكيف فكر قادته أن في وسعهم الفصل القاطع بين قضية الحرب التي يخوضها نظام الأسد على الشعب السوري والحرب الذي يخوضونها ضد الإرهاب على الأرض الواحدة، وأحياناً في المدن والأحياء نفسها؟

"الغاضبون" في جميع أنحاء المعمورة: فالشيشان "يجاهدون" في سوريا انتقاما من حليف روسيا (بشار الأسد)، و"الإيغور" (شعوب مسلمة يشكلون واحدة من 56 عرقية في جمهورية الصين الشعبية) المضطهدين في الصين، مرورا بالمسلمين الغربيين، المعزولين في الغالب، بفعل تصنيفهم كمواطنين من الدرجة الثانية، وعجزهم عن رفع المنحدر الاجتماعي المروع عن الجيل الأول من العمّال. فاولئك يعتبرون أنفسهم مستبعدين من عملية إعادة توزيع الموارد، وهذا ما يدفعهم، في فترات، لإظهار العنف الأكثر راديكالية (قضية محمد مراح، وهو إرهابي إسلامي ذو جنسيتين فرنسية وجزائرية، اشتهر بعد قيامه بعمليات إطلاق نار وقتل جماعي في ميدي بيرينيه في 2012. قتل من قبل قوات النخبة الفرنسية). وفيما يتعلّق بردود الأفعال حيال الدولة الإسلامية، تحدّث "بورجا" عن محدودية أو قصور التدخّل العسكري الغربي، وذلك فيما يتعلّق ببث الشكوك حول قدرته على اجتثاث جذور هذا العنف، والذي يشبّهه، في كثير من الأحيان، بالأعراض البسيطة، أو حتى الآثار البسيطة لأسباب ضاربة في العمق.

وأضاف "الغرب لم يعد يمتلك اليوم الموارد البشرية اللازمة لخوض حرب ضد الدولة الإسلامية، وبالتالي، يتحتّم عليه البحث، على الأرض، عن حلفاء، من أجل الإكتفاء بعدد قليل من الغارات الجوية التي يمكن أن تحقّق التقارب بين إيران والغرب".

ودعما لأطروحة القيود المتأصلة في التدخل العسكري، أقام "بورجا" مقارنة مع "الحرب ضد الإرهاب" المعلن عنها في عام 2001 من قبل تحالف دولي واسع النطاق في أفغانستان للإطاحة بنظام طالبان، لافتا إلى أنّ "13 سنة التي قضاها أفراد طالبان أمام باب السلطة في كابول، لم تكن إجابتها لتقتصر على الجانب الأمني فحسب".

وبمناسبة مروره بتونس، حلّ الباحث "فرانسوا بورجا" ضيفا على هيئة تحرير الأناضول. وهو باحث سياسي، ومدير الأبحاث في معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي. ألّف العديد من الكتابات حول الإسلام، أهمّها "الإسلام في بلاد المغرب" (1988)، و"الإسلام في الواجهة" (1995)، "لا ربيع لسوريا" (2013)، والأخير قدّم من خلاله عددا من المفاهيم المفاتيح لاستيعاب أطراف وتحدّيات الأزمة السورية.

العراق لم يعرف السّلام منذ عام 1980م، فمن الحرب الإيرانية – العراقيّة إلى حرب الخليج، والحرب الأهلية، وما حدث بعد الانسحاب الأميركي من العراق ثم الآن ما يقوم به تنظيم "الدولة الإسلامية".

لقد تمّ ظلم إخوتنا التّركمان الذين يعيشون في العراق تحت استراتيجيات المالكي الخاطئة في السّنوات الأخيرة، فالتركمان خسروا كلّ ما يربطهم بالماضي عندما تمّ إحراق سجلاّتهم السّكّانية جميعها، ثم انخفضت نسبة سكان العراق من التّركمان بسبب الهجرات التي حدثت في الفترة الماضية، وأخيرًا تعرّضوا لاعتداءات كبيرة من قبل تنظيم الدّولة الإسلامية.

التركمان هم فقط مثال واحد، بعد استهداف السّنة والتركمان والأكراد من قبل الحكومة المركزية العراقية، يوشك العراق في الوقت الحالي أن يكون عمليًا منقسمًا إلى ثلاثة أجزاء، يستولي تنظيم الدّولة الإسلامية على المنطقة بين بغداد وسوريا، وتوشك حكومة بغداد على فقدان اتّصالاتها بشمال البلاد وغربها.

بقلم: الكاتب التركي هارون يحيى

لقد عاشت الشّعوب التي تنتمي إلى طوائف ومُعتقدات مختلفة في مناخ أخوي في العراق منذ مئات السّنين، ثم بدأت الانقسامات الخطيرة على أساس طائفي في العراق بعد حرب الخليج الثانية. وبعد انتخابات عام 2010م على وجه الخصوص، اعتمدت حكومة المالكي بمهارة سياسة "التشيّع" وتهميش أهل السّنة والقبائل المحلّية. وهذه السياسة الخاطئة أعاقت التّمثيل العادل للشّعب العراقي كله في الحكم وحالت دون حماية حقوقهم.

لقد كان بين الحكومة الكرديّة في إقليم كردستان العراق والحكومة المركزية في بغداد خلافات رئيسية بشأن مبيعات النفط من شمال العراق، وعندما استولى تنظيم الدّولة الإسلامية على الموصل، ليّس مقاتلو البشمركة الموالية للبارزاني دعوة التّركمان، وتم دخول كركوك و طوزخورماتو واعلنت هذه القوات انها سوف تحمي الشعب ضد هجمات تنظيم الدّولة الإسلامية.

إنّ نهج حزب العمال الكردستاني في الأحداث التي تتعلق بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام هو أحد أكثر الأعمال دهاء. تكبّد حزب العمال الكردستاني في سوريا خسائر فادحة في القتال ضد تنظيم الدولة الإسلامية، وقد تسببت الهزيمة التي مني بها الحزب في أضرار كبيرة على خطط الحزب في شمال سوريا.

يُحاول حزب العمال الكردستاني بدوره إقامة علاقات مع الدّول الأوروبية، وقد صرحت بعض هذه الدّول بأنه من الضروري حماية حقوقهم في العراق، كما يرغب الأكراد في إزالة أنفسهم من القائمة الدّولية للمنظمات الإرهابية نتيجة لهذا التقارب.

إيران، جارة أخرى للعراق وهي في موقف قوي جدًا في الشّرق الأوسط، وإستراتيجية إيران في العراق تشبه إستراتيجيتها في سوريا؛ فهي تقوم بدعم الحكومة العراقية بجميع أنواع الدّعم، والتكتيكات نفسها في العراق تستخدمها في سوريا. ونتيجة لذلك حقّق الأسد تقدما كبيرًا ضدّ المعارضة بدعم من حزب الله. ومن المرجح أن ترى قريبا مشاركة حزب الله في مكافحة تنظيم الدّولة الإسلامية في العراق والشام.

وتمثل النّجف وكربلاء نقاطًا حساسة بالنسبة إلى إيران في العراق؛ وفي حالة وقوع هجمات من قبل تنظيم الدّولة الإسلامية على هذه المناطق فربما تصبح أهدافا لها، فتتدخّل لتحول دون وقوعها في أيدي تنظيم الدّولة. إنّ التّقارب بين الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة مع إيران ورفضها إرسال قوات إلى العراق قد يعني أنها لن تفعل شيئًا في حالة حدوث مثل هذا التدخل.

وتتشكل سياسة روسيا في المنطقة من خلال عائدات الطاقة، فأيّ انخفاض في منسوب تدفق النفط في الشرق الأوسط – لأي سبب من الأسباب – سوف يكون ذا فائدة كبيرة بالنسبة إلى روسيا، حيث إنّ جزءًا كبيرا من عائداتها يتأتّى من إيرادات مبيعات الطاقة. ومن مصلحة روسيا وأهدافها كذلك اليوم رؤية دول المنطقة في حالة ضعف. وروسيا لديها خط أحمر وهو القاعدة البحرية الرّوسية في سوريا.

واحدة من الأسباب الرّئيسية التي أدت بالعراق إلى الانحدار إلى مثل هذه الحالة المرعبة هو مزيج من الصّراع الطائفي الدّاخلي، والصراعات العرقية، وبعض الدّول الغربية تصارع من أجل مزيد من السّيطرة على عائدات الطاقة فيها.

ويبدو أنّ العراق قد دخل فعليا في عملية تقسيم إلى ثلاثة أجزاء: إقليم كردستان في الشمال، والسّنة في جميع أنحاء الموصل والشّيعة في الجنوب، كما أنّ تنظيم الدّولة الإسلامية في العراق والشام أعلن عن تشكيل دولة إسلاميّة في المناطق التي يسيطر عليها. إنّ إستراتيجية فرّق تسد التي تم تطبيقها من قبل البريطانيين والفرنسيين في أفريقيا في أوائل القرن 20 يجري تطبيقها مرة أخرى هناك أيضا.

ولا يمكن للمسلمين التغلب على إستراتيجية "التقسيم" هذه، والتي نُفّذت منذ القرن الماضي، إلا من خلال العمل بروح "الوحدة". ومن دون ذلك فإنّ البلدان الإسلامية لن تستطيع تجنّب القتال الحالي، وسوف تغرق أكثر في الموت والمعاناة والفقر.

إن الدّول السّنية أو الشّيعية أو الكرديّة الصّغيرة التي تقوم بإعلان الاستقلال في العراق لن تعود بالفائدة على المجتمع العراقي بمقال ذرة واحدة، وهي ليست سوى خدمة لمصالح بعض الدّول الغربية. وما يجب القيام به في العراق هو وضع حدّ للاقتتال الطائفي، وترسيخ قاعدة أن كل المسلمين إخوة، وضمان أن كل أبناء المجتمع العراقي يعيشون كشعب واحد و بروح الحبّ المتبادل والمودة والتفاهم.

يجب على الشّعب العراقي تأسيس الوحدة بين بعضهم البعض أولا. ثمّ يجب أن يفتحوا الطريق إلى الوحدة بين شعوب المنطقة من أجل إنهاء الحروب. ويمكن لهذه المجتمعات التي عاشت معا لمئات السنين تحت الحكم العثماني في بلاد ما بين النّهرين أن تعيش مرة أخرى موحّدة، ولكن فقط إذا ما آمنت بصدق ومن العمق بأنّ هذا هو الحلّ الأمثل.

بقلم: الكاتب التركي هارون يحيى

العراق لم يعرف السّلام منذ عام 1980م؛ فمن الحرب الإيرانية - العراقيّة إلى حرب الخليج، والحرب الأهلية، وما حدث بعد الانسحاب الأميركي من العراق ثم الآن ما يقوم به تنظيم "الدولة الإسلامية".

لقد تمّ ظلم إخوتنا التّركمان الذين يعيشون في العراق تحت استراتيجيات المالكي الخاطئة في السّنوات الأخيرة؛ فالتركمان خسِروا كلّ ما يربطهم بالماضي عندما تمّ إحراق سجلاّتهم السّكّانية جميعها، ثم انخفضت نسبة سكان العراق من التّركمان بسبب الهجرات التي حدثت في الفترة الماضية، وأخيرًا تعرّضوا لاعتداءات كبيرة من قبل تنظيم الدّولة الإسلامية.

التركمان هم فقط مثال واحد، بعد استبعاد السّنة والتركمان والأكراد من قبل الحكومة المركزية العراقية، يوشك العراق في الوقت الحالي أن يكون عمليّا منقسمًا إلى ثلاثة أجزاء، يستولي تنظيم الدّولة الإسلامية على المنطقة بين بغداد وسوريا، وتوشك حكومة بغداد على فقدان اتّصالاتها بشمال البلاد وغربها.

لقد عاشت الشّعوب التي تنتمي إلى طوائف ومُعتقدات مختلفة في مناخ أخوي في العراق منذ مئات السّنين، ثم بدأت الانقسامات الخطيرة على أساس طائفي في العراق بعد حرب الخليج الثانية. وبعد انتخابات عام 2010م على وجه الخصوص، اعتمدت حكومة المالكي بمهارة سياسة "التشيّع" وتهميش أهل السّنة والقبائل المحلّية. وهذه السياسة الخاطئة أعاقت التّمثيل العادل للشّعب العراقي كله في الحكم وحالت دون حماية حقوقهم.

لقد كان بين الحكومة الكرديّة في إقليم كردستان العراق والحكومة المركزية في بغداد خلافات رئيسية بشأن مبيعات النفط من شمال العراق، وعندما استولى تنظيم الدّولة الإسلامية على الموصل، لبّى مقاتلو البشمركة الموالية للبارزاني دعوة التّركمان، وتم دخول كركوك و طوزخورماتو وأعلنت هذه القوات أنها سوف تحمي الشعب ضد هجمات تنظيم الدّولة الإسلامية.

إنّ نهج حزب العمال الكردستاني في الأحداث التي تتعلق بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام هو أحد أكثر الأعمال دهاء. تكبّد حزب العمال الكردستاني في سوريا خسائر فادحة في القتال ضد تنظيم الدولة الإسلامية، وقد تسببت الهزيمة التي مني بها الحزب في أضرار كبيرة على خطط الحزب في شمال سوريا.

يُحاول حزب العمال الكردستاني بدوره إقامة علاقات مع الدّول الأوروبية، وقد صرحت بعض هذه الدّول بأنه من الضروري حماية حقوقهم في العراق، كما يرغب الأكراد في إزالة أنفسهم من القائمة الدّولية للمنظمات الإرهابية نتيجة لهذا التقارب.

إيران، جارة أخرى للعراق وهي في موقف قوي جدّا في الشّرق الأوسط، وإستراتيجية إيران في العراق تشبه إستراتيجيتها في سوريا؛ فهي تقوم بدعم الحكومة العراقية بجميع أنواع الدّعم، والتكتيكات نفسها في العراق تستخدمها في سوريا. ونتيجة لذلك حقّق الأسد تقدما كبيرًا ضدّ المعارضة بدعم من حزب الله. ومن المرجح أن نرى قريبا مشاركة حزب الله في مكافحة تنظيم الدّولة الإسلامية في العراق والشام.

وتمثل النّجف وكربلاء نقاطًا حساسة بالنسبة إلى إيران في العراق؛ وفي حالة وقوع هجمات من قبل تنظيم الدّولة الإسلامية على هذه المناطق فربما تصبح أهدافا لها، فتتدخّل لتحُول دون وقوعها في أيدي تنظيم الدّولة. إنّ التّقارب بين الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة مع إيران ورفضها إرسال قوات إلى العراق قد يعني أنها لن تفعل شيئًا في حالة حدوث مثل هذا التدخل.

وتتشكل سياسة روسيا في المنطقة من خلال عائدات الطاقة، فأيّ انخفاض في منسوب تدفق النفط في الشرق الأوسط - لأي سبب من الأسباب - سوف يكون ذا فائدة كبيرة بالنسبة إلى روسيا، حيث إنّ جزءا كبيرا من عائداتها يتأتّى من إيرادات مبيعات الطاقة. ومن مصلحة روسيا وأهدافها كذلك اليوم رؤية دول المنطقة في حالة ضعف. وروسيا لديها خط أحمر وهو القاعدة البحرية الرّوسية في سوريا.
الولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدأت في سحب قواتها من العراق في عام 2011، يراقب الأحداث في البلاد بعناية. حاملة الطائرات التي أرسلتها إلى المياه قبالة البصرة تبقي بالتأكيد على إمكانية شن غارات جوية على جدول الأعمال. قررت الولايات المتحدة الأمريكية أيضا إرسال 300 من المستشارين العسكريين إلى العراق.

واحدة من الأسباب الرّئيسية التي أدت بالعراق إلى الانحدار إلى مثل هذه الحالة المرعبة هو مزيج من الصّراع الطائفي الدّاخلي، والصراعات العرقية، وبعض الدّول الغربية تصارع من أجل مزيد من السّيطرة على عائدات الطاقة فيها.

ويبدو أنّ العراق قد دخل فعليا في عملية تقسيم إلى ثلاثة أجزاء؛ إقليم كردستان في الشمال، والسّنة في جميع أنحاء الموصل والشّيعة في الجنوب؛ كما أن تنظيم الدّولة الإسلامية في العراق والشام أعلن عن تشكيل دولة إسلاميّة في المناطق التي يسيطر عليها. إنّ إستراتيجية فرّق تسد التي تم تطبيقها من قبل البريطانيين والفرنسيين في أفريقيا في أوائل القرن 20 يجري تطبيقها مرة أخرى هناك أيضا.

ولا يمكن للمسلمين التغلب على إستراتيجية "التقسيم" هذه، والتي نُفّذت منذ القرن الماضي، إلا من خلال العمل بروح "الوحدة". ومن دون ذلك فإنّ البلدان الإسلامية لن تستطيع تجنّب القتال الحالي، وسوف تغرق أكثر في الموت والمعاناة والفقر.
إن الدّول السّنية أو الشّيعية أو الكرديّة الصّغيرة التي تقوم بإعلان الاستقلال في العراق لن تعود بالفائدة على المجتمع العراقي بمثقال ذرة واحدة، وهي ليست سوى خدمة لمصالح بعض الدّول الغربية. وما يجب القيام به في العراق هو وضع حدّ للاقتتال الطائفي، وترسيخ قاعدة أن كل المسلمين إخوة، وضمان أنّ كل أبناء المجتمع العراقي يعيشون كشعب واحد و بروح الحبّ المتبادل والمودة والتفاهم.

يجب على الشّعب العراقي تأسيس الوحدة بين بعضهم البعض أولا، ثمّ يجب أن يفتحوا الطريق إلى الوحدة بين شعوب المنطقة من أجل إنهاء الحروب. ويمكن لهذه المجتمعات التي عاشت معا كإخوة لمئات السنين تحت الحكم العثماني في بلاد ما بين النّهرين أن تعيش مرة أخرى موحّدة، ولكن فقط إذا ما آمنت بصدق ومن العمق بأنّ هذا هو الحلّ الأمثل.

https://www.harunyahya.info/ar/mqalat/htha-zmn-alwhdh-fy-alaraq